المحاضرة الثالثة عشر: التعريف بالمعجم

مقدمة: لقد سار جمع اللغة عند العرب في مراحل ثلاث تطورت باتجاه المعجم الشامل:

1. **المرحلة الأولى:** جمع العرب في أثنائها الكلمات، من غير أن يتبعوا طريقة محددة. فقد كان الأصمعي يقصد الأعراب، فيسمع منهم اللفظ الغريب ويدونه في ألواحه، الى أن اشتهر إسمه بالغريب[1]، بل قيل إنّه لم يكن يكتفي بسماع الأعراب ومناقشتهم، حتى كان يملأ الراحة من كلامهم[2].

وروي أيضا أن أبا زيد كان يلح في سؤال الأعرابي((ليعرف مزيدا لمعاني الكلمة الواحدة، وهو يحكي ذلك لأبي حاتم ، قال: قلت لأحدهم: ما المتكأكئ؟ قال: المتأزف؛ قال: وما المتأزف؟ قال:المحبنطى؛ قال: وما المحبنطى؟ قال له: أنت أحمق ومضى))[3]

وكان الذين نُقلت اللغة عنهم، واقتُدى بهم، وأخذ اللسان العربية عنهم من بين القبائل العرب، هم: قيس، وأسد، وتميم، ثم هذيل، وبعض من كنانة، وبعض الطائيين. ولم يؤخذ عن غيرهم، كما ذكر الفارابي[4].

وقد رأى العرب أن الكلمة تنطق بها جملة قبائل خير من الكلمة التي تنطق بها قبيلة واحدة، وأنها إذا وردت على القياسين الصرفي والنحوي كانت أفصح من غيرها وأفضل، وإذا رواها علماء كثيرون كانت أصح من الكلمة التي يرويها عالم واحد[5].

2. **المرحلة الثانية:** جمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد، كالألفاظ المتعلقة بالمطر، أو الدواب، أو بالغيم، أو ما إلى ذلك مما شكل فيما بعد مايسمى "معاجم المعاني".

---

(1) عبد الحميد الشلقاني، رواية اللغة، دار المعارف، 1971، ص69

(2) نفسه، ص71

(3) نفسه، ص71

(4) السيوطي، المزهر، دار إحياء التراث العربي(طبعة الحلبي)، دون تاريخ، 211/1

(5) ينظر، أحمد أمين، ضحى الإسلام، 256/2

3. المرحلة الثالثة: جمع كل الكلمات العربية بطريقة معينة، وهذه هي المعاجم لمجنسة[6].

أولا: لفظة المعجم: أخذت لفظة معجم من عبارة " حروف المعجم" التي عرفت بها حروف الهجاء، وهي الحروف التي تتميز عن سواها بالنقط[7]. على أن لا أحد يدري يقينا متى ظهرت لفظة معجم. ويبدوا أنّها أطلقت في ميادين أخرى، ثم إنتقلت من بعد إلى اللغة[8].

وأقدم استعمل لها كان في القرن الثالث هجري؛ فقد روي أن شيخا يدعى حبيشا وضع "كتاب الأغاني على حروف المعجم" للخليفة العباسي المتوكل[9]، وأنّ برزخ بن محمد العروضي قد وضع "كتاب معالي العروض على حروف المعجم[10].

لكن علماء الحديث كان السبق في استعمال لفظة معجم ،وكان أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى، قد ألف كتابا سمّاه "معجم الصحابة"[11] ، ووضع أبو القاسم عبد اله بن عبد العزيز البغوي كتابيه" المعجم الكبير" و"المعجم الصغير"[12].

وبعد ذلك أطلقت هذه اللفظة على كتب اللغة التي تعالج الألفاظ، فتتناول مدلولاتها وكل مايتصل بها لغويا، أو التي تجمع الألفاظ المتصلة بمعنى أو موضوع واحد في رسالة أو كتاب أو باب من كتاب(•).

ثانيا: تعريف المعجم : معنى لفظة معجم :جاء في معجم العين للخلل مادة (ع ج م) : العجم ضد العرب، ورجل أعجمي: ليس بعربي... وامرأة عجماء بيّنة العجمة. والعجماء كل دابة أو بهيمة ... والعجماء كل صلاة لايقرأ

---

(6) المرجع نفسه، 2/263-265

(7) حسين نصار، المعجم العربي(الموسوعة الصغيرة)، منشورات دار الجاحظ للنشر، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1980، ص4،5

(8) نفسه، ص4

(9) نفسه، ص5

(10) ابن النديم الفهرست، ص107

(11) عبد السميع محمد أحمد، المعاجم العربية، دار الفكر العربي، ط1، 1969م، 1/16

(12) نفسه، 1/16

(•) مثل كتاب المطرلأبي زيد الأنصاري، والمخصص لابن سيدة، والغريب المصنف لأبي عبيدة

فيها... والأعجم كل كلام ليس بلغة عربية.. والمعجم حروف الهجاء المقطعجمية.وتعجيم الكتاب: تنقيطه كي تستقيم عجمته ويصح)) [13]

ويقول ابن جني: ((ثمّ إنهم قالواأعجمت الكتابإذا ينته وأوضحته، فهوإذا لسلب معنى الاستبهام لاإثباته))[14].

ويقول: ((ألا ترى ان تصريف (ع ج م) أين وقعت في كلامهم إنما (هو للإبهام) وضد البيان[15].

ويقول ابن منظور: ((الأعجم الذي لايفصح ولايبين كلامه، وإن كان عربي النسب.. [16] وأعجمت الكتاب: ذهبت به إلى العجمة، وقالوا: حروف المعجم، وأضافوا الحروف إلى المعجم..[17] .

وكتاب معجم إذا أعجمه كاتبه بالنقط...[18]. فقد روعي تنقيط المعجم لتيسير البحث فيه، وقد رتب المعجم ترتيبا ابجديا وفق حروف الهجاء أي- بحسب الحروف المعجمة- فقد أطلقت لفظة معجم على هذين المعنيين؛ فالمعاجم ترتب على حسب حروف الهجاء.

وقد يطلق على هذا النوع من الكتب لفظ **قاموس** وإن لم تكن هذه التسمية محل إجماع بين العلماء.

والقاموس إسم أطلقه الفيروزآبادي على معجمه (القاموس المحيط) قاصدا به "البحرالمحيط باللغة"[19].

يقول ابن منظور: (والقاموس والقَوْمَس: قعر البحر، وقيل: وسطه ومعظمه... وأصل القَمْس الغور..))[20].

ويرى صاحب المعجم الوسيط أنّ((القاموس: البحر العظيم)) وهو: ((عَلَمٌ على معجم الفيروزآبادي))، وهو((كل معجم لغوي، على التوسع))[21].

---

(13) الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والإعلام العراقية،1980م ،238/1،237

(14) ابن جني، الخصائص، دار الكتاب العربي، دار الكتاب المصرية،1975، 76/3

(15) المصدر نفسه، 75/3

(16) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، لاتاريخ،386/12

(17) المصدر نفسه، 387/12

(18) المصدر نفسه، 389/12

(19) حسين نصار، المعجم العربي، ص7

(20) ابن منظور، لسان العرب، 183/6

(21) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار عمران، ط3، 1985، 788

أما صاحب محيط المحيط فيشرح الكلمة شرحا وافيا، يقول: ((القاموس: البحروأبعد موضع فيه غورا، ووسطه، ومعظمه... والقاموس: كتاب الفيروزآبادي في اللغة العربية، لقّبه بالقاموس المحيط لاتساعه وبعد غوره. ومنه نسمي كل كتابفي اللغة مشتملعلى مفرداتهامرتّبة على حروف المعجم، مع ضبطها وتفسير معانيها بالقاموس، وهو من اصطلاح المولدين، ويرادفه عند العرب اللغة؛ فإنّهم يسمّون القواميس بكتب اللغة))[22].

ثالثا: نوعا المعجم: تنقسم المعاجم الى نوعين: معاجم الألفاظ، يقال لها أيضا المعاجم المجنسة، وهي تتناول ألفاظ اللغة كلها بلا تمييز، ومعاجم المعاني، ويقال لها أيضا المعاجم المبوبة، وهي ماجمع من الألفاظ المتصلة بموضوع واحد، كموضوع المطر، والجياد، وشواذ اللغة، أو ما إلى ذلك.

1. **معاجم المعاني**: معاجم المعاني تسمى المعاجم المبوّبة، وكانت اسبق في الظهور من المعاجم المجنّسة لأن جمع المادة اللغوية قد ترافق مع جمع مادة الأدب[23].

وقد قسمها عبد المجيد الحر الى ستة أنواع بحسب أنماطها:

1. **نمط الندرة والغرابة:** أي ماجمع أصحابه فيه الألفاظ الغريبة النادرة ككتاب أبي زيد الأنصاري"النوادر في اللغة"[24].

2. **الموضوعات والمعاني**: وهي ما جمع فيه أصحابه الفاظ اللغة المتعلقة بموضوع من الموضوعات، أو بمعنى من المعاني ككتاب "**الأجناس**" للأصمعي، وكتاب " **المطر**" لأبي زيد الانصاري؛ ومجموع هذه الكتب عبارة عن رسائل صغيرة.

---

(22) بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان،1993، ص756

(23) ينظر، عبد المجيد الحر، المعجمات والمجامع العربية، دار الفكر العربي، ط1، 1994، ص19

(24) المرجع نفسه، ص 20-32

3. **الأضداد**: وهي ماجمع أصحابه فيه الألفاظ التي وردت بمعنيين متناقضين، ككتاب الأضداد للأصمعي الذي جاء فيه على سبيل المثال: (صرد) صَرِدَ السهم أخطأ. وصرد أصتب ونفذ[25].

4. **مثلث الكلام**: وهو ماجمع فيه أصحابه الألفاظ التي وردت على ثلاث حركات بمعان مختلفة، ككتاب " **مثلثات قطرب**". ومن هذا قولنا الحَلْم (بفتح الحاء)أي الجلد الفاسد، والحلم (بكسر الحاء) أي الوقار، والحُلم (بضم الحاء) أي ما يراه النائم.

5. **الأفعال ذات الاشتقاق الواحد**: وهي ماجمع فيه أصحابه الأفعال التي تأتي على اشتقاقين بمعنى واحد، ككتاب"**فعلت وأفعلت" للزجاج**.

6. **الحروف**: وهو ما جُمع من الألفاظ ورتب حسب الحروف، ككتاب "**الهمز**" لأبي زيد الأنصاري.

كتب أخرى: ويمكن إضافة أنواعا أخرى مثل الكتب التي جمعت مرادفات لغوية، أوعبارات لها معنى واحد، أوأسماء للأصوات، ككتاب "**فقه اللغة**" للثعالبي وكتاب "**الألفاظ الكتابية**" للهمذاني، والكتب التي جمعت الألفاظ المختلفة اللفظ ذات المعنى المشترك، أي المرادفات، ككتاب"**مااختلفت الفاظه واتفقت معانيه**" للأصمعي، والكتب التي جمعت الحروف ودرست معانيها ومدلولاتها اللغوية، ككتاب"**معاني الحروف**" للرماني و كتاب "**اللامات**" للزجاج ، والكتب التي جمعت مالانجده في كلام العرب، ككتاب "**ليس في كلام العرب**" لابن خالوية ، وغير ذلك.

2. **المعاجم المجنّسة**: هي معاجم تضم عددا كبيرا من المفردات اللغوية مقرونة بشرحها، وتكون مواده مرتبة ترتيبا خاصا بحسب طريقة كل مؤلف[26].

---

(25) نفسه، ص28

(26) مقدمة الصحاح، ص38، 42